عاشق من فلسطين

١٩٦٦

عاشق من فلسطين

عيونك شوكة في القلب

توجعني ..و أعبدها

و أحميها من الريح

و أغمدها وراء الليل و الأوجاع.. أغمدها

فيشعل جرحها ضوء المصابيح

و يجعل حاضري غدها

أعزّ عليّ من روحي

و أنسى، بعد حين، في لقاء العين بالعين

بأنّا مرة كنّا وراء، الباب ،إثنين !

كلامك كان أغنية

و كنت أحاول الإنشاد

و لكن الشقاء أحاط بالشفقة الربيعيّة

كلامك ..كالسنونو طار من بيتي

فهاجر باب منزلنا ،و عتبتنا الخريفيّة

وراءك، حيث شاء الشوق ..

و انكسرت مرايانا

فصار الحزن ألفين

و لملمنا شظايا الصوت !

لم نتقن سوى مرثية الوطن

سننزعها معا في صدر جيتار

وفق سطوح نكبتنا، سنعزفها

لأقمار مشوهّة ..و أحجار

و لكنيّ نسيت.. نسيت يا مجهولة الصوت :

رحيلك أصدأ الجيتار.. أم صمتي؟ !

رأيتك أمس في الميناء

مسافرة بلا أهل .. بلا زاد

ركضت إليك كالأيتام،

أسأل حكمة الأجداد :

لماذا تسحب البيّارة الخضراء

إلى سجن، إلى منفى، إلى ميناء

و تبقى رغم رحلتها

و رغم روائح الأملاح و الأشواق ،

تبقى دائما خضراء؟

و أكتب في مفكرتي :

أحبّ البرتقال. و أكره الميناء

و أردف في مفكرتي :

على الميناء

وقفت .و كانت الدنيا عيون الشتاء

و قشرةالبرتقال لنا. و خلفي كانت الصحراء !

رأيتك في جبال الشوك

راعية بلا أغنام

مطاردة، و في الأطلال ..

و كنت حديقتي، و أنا غريب الدّار

أدقّ الباب يا قلبي

على قلبي ..

يقوم الباب و الشبّاك و الإسمنت و الأحجار !

رأيتك في خوابي الماء و القمح

محطّمة .رأيتك في مقاهي الليل خادمة

رأيتك في شعاع الدمع و الجرح .

و أنت الرئة الأخرى بصدري ..

أنت أنت الصوت في شفتي ..

و أنت الماء، أنت النار !

رأيتك عند باب الكهف.. عند الدار

معلّقة على حبل الغسيل ثياب أيتامك

رأيتك في المواقد.. في الشوارع ..

في الزرائب.. في دم الشمس

رأيتك في أغاني اليتم و البؤس !

رأيتك ملء ملح البحر و الرمل

و كنت جميلة كالأرض.. كالأطفال.. كالفلّ

و أقسم :

من رموش العين سوف أخيط منديلا

و أنقش فوقه لعينيك

و إسما حين أسقيه فؤادا ذاب ترتيلا ..

يمدّ عرائش الأيك ..

سأكتب جملة أغلى من الشهداء و القبّل :

"فلسطينية كانت.. و لم تزل "!

فتحت الباب و الشباك في ليل الأعاصير

على قمر تصلّب في ليالينا

وقلت لليلتي: دوري !

وراء الليل و السور ..

فلي وعد مع الكلمات و النور ..

و أنت حديقتي العذراء ..

ما دامت أغانينا

سيوفا حين نشرعها

و أنت وفية كالقمح ..

ما دامت أغانينا

سمادا حين نزرعها

و أنت كنخلة في البال،

ما انكسرت لعاصفة و حطّاب

وما جزّت ضفائرها

وحوش البيد و الغاب ..

و لكني أنا المنفيّ خلف السور و الباب

خذني تحت عينيك

خذيني، أينما كنت

خذيني ،كيفما كنت

أردّ إلي لون الوجه و البدن

وضوء القلب و العين

و ملح الخبز و اللحن

و طعم الأرض و الوطن !

خذيني تحت عينيك

خذيني لوحة زيتّية في كوخ حسرات

خذيني آية من سفر مأساتي

خذيني لعبة.. حجرا من البيت

ليذكر جيلنا الآتي

مساربه إلى البيت !

فلسطينية العينين و الوشم

فلسطينية الإسم

فلسطينية الأحلام و الهم

فلسطينية المنديل و القدمين و الجسم

فلسطينية الكلمات و الصمت

فلسطينية الصوت

فلسطينية الميلاد و الموت

حملتك في دفاتري القديمة

نار أشعاري

حملتك زاد أسفاري

و باسمك صحت في الوديان :

خيول الروم! أعرفها

و إن يتبدل الميدان !

خذوا حذّرا ..

من البرق الذي صكّته أغنيتي على الصوّان

أنا زين الشباب ،و فارس الفرسان

أنا. و محطّم الأوثان .

حدود الشام أزرعها

قصائد تطلق العقبان !

و باسمك، صحت بالأعداء :

كلى لحمي إذا ما نمت يا ديدان

فبيض النمل لا يلد النسور ..

و بيضة الأفعى ..

يخبىء قشرها ثعبان !

خيول الروم.. أعرفها

و أعرف قبلها أني

أنا زين الشباب، و فارس الفرسان

قال المغني

هكذا يكبر الشجر

و يذوب الحصى ..

رويدا رويدا

من خرير النهر !

المغني ،على طريق المدينة

ساهر اللحن.. كالسهر

قال للريح في ضجر :

_دمّريني ما دمت أنت حياتي

مثلما يدّعي القدر _

..و اشربيني نخب انتصار الرفات

هكذا ينزل المطر

يا شفاه المدينة الملعونة !

أبعدوا عنه سامعيه

و السكارى ..

و قيّدوه

و رموه في غرفة التوقيف

شتموا أمه، و أمّ أبيه

و المغني ..

يتغنى بشعر شمس الخريف

يضمد الجرح.. بالوتر !

المغني على صليب الألم

جرحه ساطع كنجم

قال للناس حوله

كلّ شيء.. سوى الندم :

هكذا متّ واقفا

واقفا متّ كالشجر !

هكذا يصبح الصليب

منبرا.. أو عصا نغم

و مساميره.. وتر !

هكذا ينزل المطر

هكذا يكبر الشجر ..

صوت وسوط

لو كان لي برج،

حبست البرق في جيبي

و أطفأت السحاب ..

لو كان لي في البحر أشرعة،

أخذت الموج و الإعصار في كفّي

و نوّمت العباب ..

لو كان عندي سلّم،

لغرست فوق الشمس رايتي التي

اهترأت على الأرض الخراب ..

لو كان لي فرس،

تركت عنانها

و لجمت حوذيّ الرياح على الهضاب ..

لو كان لي حقل و محراث ،

زرعت القلب و الأشعار

في بطن التراب ..

لو كان لي عود،

ملأت المت أسئلة ملحّنة ،

و سلّيت الصحاب ..

لو كان لي قدم،

مشيت.. مشيت حتى الموت

من غاب لغاب ..

لو كان لي ،

حتى صليبي ليس لي

إنّي له ،

حتى العذاب !

_ماذا تبقّى أيّها المحكوم؟

إنّ الليل خيّم مرّة أخرى ..

و تهتف: لا أهاب ؟ !

_يا سيداتي.. سادتي !

يا شامخين على الحراب !

الساق تقطع.. و الرقاب

و القلب يطفأ_ لو أردتم _

و السحاب ..

يمشي على أقدامكم ..

و العين تسمل ،و الهضاب

تنهار لو صحتم بها

و دمي المملّح بالتراب !

إن جفّ كرمكم ،

يصير إلى شراب !

و النيل يسكب في الفرات،

إذا أردتم ،و الغراب ..

لو شئتم.. في الليل شاب !

لكنّ صوتي صاح يوما :

لا أهاب

فلتجلدوه إذا استطعتم ..

و اركضوا خلف الصدى

ما دام يهتف: لا أهاب!

أغاني الأسير

ملوّحة، يا مناديل حبّي

عليك السلام !

تقولين أكثر مما يقول

هديل الحمام

و أكثر من دمعة

خلف جفن.. ينام

على حلم هارب !

مفتّحة، يا شبابيك حبيّ

تمرّ المدينة

أمامك ،عرس طغاة

ومرثاة أمّ حزينة

و خلف الستائر، أقمارنا

بقايا عفونه .

و زنزانتي.. موصدة !

ملوّثة، يا كؤوس الطفولة

بطعم الكهولة

شربنا ،شربنا

على غفلة من شفاه الظمإ

و قلنا :

نخاف على شفتينا

نخاف الندى.. و الصدأ !

و جلستنا، كالزمان، بخيله

و بيني و بينك نهر الدم

معلّقه، يا عيون الحبيبة

على حبل نور

تكسّر من مقلتين

ألا تعلمين بأني

أسير اثنين؟

جناحاي: أنت و حريّتي

تنامان خلف الضفاف الغريبة

أحبّكما، هكذا، توأمين!

ولادة

_كانت أشجار التين

و أبوك ..

و كوخ الطين

و عيون الفلاحين

تبكي في تشرين !

_المولود صبي

ثالثهم ..

و الثدي شحيح

و الريح

ذرت أوراق التين !

حزنت قارئة الرمل

وروت لي،

همسا،

هذا الغضن حزين !

_يا أمي

جاوزت العشرين

فدعي الهمّ، و نامي !

إن قصفت عاصفة

في تشرين ..

ثالثهم ..

فجذور التين

راسخة في الصخر.. و في الطين

تعطيك غصونا أخرى ..

و غصون!

إلى أمي

أحنّ إلى خبز أمي

و قهوة أمي

و لمسة أمي

و تكبر في الطفولة

يوما على صدر يوم

و أعشق عمري لأني

إذا متّ،

أخجل من دمع أمي !

خذيني ،إذا عدت يوما

وشاحا لهدبك

و غطّي عظامي بعشب

تعمّد من طهر كعبك

و شدّي وثاقي ..

بخصلة شعر

بخيط يلوّح في ذيل ثوبك ..

عساي أصير إلها

إلها أصير ..

إذا ما لمست قرارة قلبك !

ضعيني، إذا ما رجعت

وقودا بتنور نارك ..

وحبل غسيل على سطح دارك

لأني فقدت الوقوف

بدون صلاة نهارك

هرمت ،فردّي نجوم الطفولة

حتى أشارك

صغار العصافير

درب الرجوع ..

لعشّ انتظارك!

أهديها غزالا

وشاح المغرب الوردي فوق ضفائر الحلوه

و حبة برتقال كانت الشمس .

تحاول كفها البيضاء أن تصطادها عنوة

و تصرخ بي، و كل صراخها همس :

أخي !يا سلمي العالي !

أريد الشمس بالقوة !

..و في الليل رماديّ، رأينا الكوكب الفضي

ينقط ضوءه العسلي فوق نوافذ البيت .

وقالت، و هي حين تقول، تدفعني إلى الصمت :

تعال غدا لنزرعه.. مكان الشوك في الأرض !

أبي من أجلها صلّى و صام ..

و جاب أرض الهند و الإغريق

إلها راكعا لغبار رجليها

وجاع لأجلها في البيد.. أجيالا يشدّ النوق

و أقسم تحت عينيها

يمين قناعة الخالق بالمخلوق !

تنام، فتحلم اليقظة في عيني مع السّهر

فدائيّ الربيع أنا، و عبد نعاس عينيها

وصوفي الحصى، و الرمل، و الحجر

سأعبدهم، لتلعب كالملاك، و ظل رجليها

على الدنيا، صلاة الأرض للمطر

حرير شوك أيّامي ،على دربي إلى غدها

حرير شوك أيّامي !

و أشهى من عصير المجد ما ألقى.. لأسعدها

و أنسى في طفولتها عذاب طفولتي الدامي

و أشرب، كالعصافير، الرضا و الحبّ من يدها

سأهديها غزالا ناعما كجناح أغنية

له أنف ككرملنا ..

و أقدام كأنفاس الرياح، كخطو حريّة

و عنق طالع كطلوع سنبلنا

من الوادي ..إلى القمم السماويّة !

سلاما يا وشاح الشمس، يا منديل جنتنا

و يا قسم المحبة في أغانينا !

سلاما يا ربيعا راحلا في الجفن! يا عسلا بغصّتنا

و يا سهر التفاؤل في أمانينا

لخضرة أعين الأطفال.. ننسج ضوء رايتنا!

شهيد الأغنية

نصبوا الصليب على الجدار

فكّوا السلاسل عن يدي .

و السوط مروحة.و دقات النعال

لحن يصفر: سيدي !

و يقول للموتى: حذار !

_يا أنت !

قال نباح وحش :

أعطيك دربك لو سجدت

أمام عرشي سجدتين !

و لثمت كفي، في حياء، مرتين

أو ..

تعتلي خشب الصليب

شهيدأغنية.. و شمس !

ما كنت أول حامل إكليل شوك

لأقول للسمراء: إبكي !

يا من أحبك، مثل إيماني ،

ولاسمك في فمي المغموس

بالعطش المعفر بالغبار

طعم النبيذ إذا تعتق في الجرار !

ما كنت أول حامل إكليل شوك

لأقول: إبكي !

فعسى صليبي صهوة،

و الشوك فوق جبيني المنقوش

بالدم و الندى

إكليل غار !

و عساي آخر من يقول :

أنا تشهيت الردى!

تموز والأفعى

تموز مرّ على خرائبنا

و أيقظ شهوة الأفعى .

القمح يحصد مرة أخرى

و يعطش للندى..المرعى

تموز عاد، ليرجم الذكرى

عطشا ..و أحجارا من النار

فتساءل المنفيّ :

كيف يطيع زرع يدي

كفا تسمم ماء أباري؟

و تساءل الأطفال في المنفى :

أباؤنا ملأوا ليالينا هنا.. وصفا

عن مجدنا الذهبي

قالوا كثيرا عن كروم التين و العنب

تموز عاد، و ما رأينا

و تنهّد المسجون: كنت لنا

يا محرقي تموز... معطاء

رخيصا مثل نور الشمس و الرمل

و اليوم، تجلدنا بسوط الشوق و الذل

تموز.. يرحل عن بيادرنا

تموز، يأخذ معطف اللهب

لكنه يبقى بخربتنا

أفعى

ويترك في حناجرنا

ظمأ

و في دمنا ..

خلود الشوق و الغضب

برقية من السجن

من آخر السجن، طارت كفّ أشعاري

تشد أيديكم ريحا ..على نار

أنا هنا، ووراء السور، أشجاري

تطوّع الجبل المغرور.. أشجاري

مذ جئت أدفع مهر الحرف، ما ارتفعت

غير النجوم على أسلاك أسواري

أقول للمحكم الأصفاد حول يدي :

هذي أساور أشعاري و إصراري

في حجم مجدكم نعلي، و قيد يدي

في طول عمركم المجدول بالعار :

أقول للناس ،للأحباب: نحن هنا

أسرى محبتكم في الموكب الساري

في اليوم، أكبر عاما في هوى وطني

فعانقوني عناق الريح للنار

السجن

تغيرّ عنوان بيتي

و موعد أكلي

و مقدار تبغي تغيرّ

و لون ثيابي، ووجهي، و شكلي

و حتى القمر

عزيز عليّ هنا ..

صار أحلى و أكبر

و رائحة الأرض: عطر

و طعم الطبيعة: سكر

كأني على سطح بيتي القديم

و نجم جديد ..

بعيني تسمّر

وشم العبيد

روما على جلودنا

أرقام أسرى .و السياط

تفكها إذا هوت، أو ترتخي ..

كان العبيد عزّلا

ففتتوا البلاط !

بابل حول جيدنا

وشم سبايا عائدة

تغيرت ملابس الطاغوت

من عاش بعد الموت

لو آمنت.. لا يموت

متنا و عشنا، و الطريق واحدة !

إفريقيا في رقصنا

طبل.. و نار حافية

وشهوة على دخان غانية .

في ذات يوم.. أحسن العزف على

ناي الجذوع الهاوية .

أنوّم الأفعى

و أرمي نابها في ناحية

فتلقي في رقصة جديدة.. جديدة

إفريقيا..وآسيه!

صوت من الغابة

من غابة الزيتون

جاء الصدى ..

و كنت مصلوبا على النار !

أقول للغربان: لا تنهشي

فربما أرجع للدار

و ربما تشتي السما

ربما ..

تطفيء هذا الخشب الضاري !

أنزل يوما عن صليبي

ترى ..

كيف أعود حافيا.. عاري!؟

في انتظار العائدين

أكواخ أحبابي على صدر الرمال

و أنا مع الأمطار ساهر ..

و أنا ابن عوليس الذي انتظر البريد من الشمال

ناداه بحّار، و لكن لم يسافر .

لجم المراكب، و انتحى أعلى الجبال

_يا صخرة صلّى عليها والدي لتصون ثائر

أنا لن أبيعك باللآلي .

أنا لن أسافر ..

لن أسافر ..

لن أسافر !

أصوات أحبابي تشق الريح، تقتحم الحصون

_يا أمنا انتظري أمام الباب.. إنّا عائدون

هذا زمان لا كما يتخيلون ..

بمشيئة الملاح تجري الريح ..

و التيار يغلبه السفين !

ماذا طبخت لنا؟ فإنّا عائدون .

نهبوا خوابي الزيت، يا أمي، و أكياس الطحين

هاتي بقول الحقل! هاتي العشب !

إنّا عائدون !

خطوات أحبابي أنين الصخر تحت يد الحديد

و أنا مع الأمطار ساهد

عبثا أحدّق في البعيد

سأظل فوق الصخر.. تحت الصخر.. صامد



مطر

-1-

ناري،

و خمس زنابق شمعية في المزهرية

و عزاؤنا الموروث :

في الغيمات ماء

و الأرض تعطش. و السماء

تروى. و خمس زنابق شمعية في المزهرية .

-2-

عفوية صلوات جدتنا، و كان

جدي يحب الكستنا

و طعام أمي

قد كنت كالحمل الوديع

و كان همي

أن يفاجئنا الربيع !

يا جدي المرحوم! أهلا بالمطر

يروي ثراك. فلا يزال السنديان

من يومها يدمي الحجر !

-3-

لنقل مع الأجداد :خير !

هذا مخاض الأرض: خير !

تضع الوليد غدا.. ربيعا أخضرا !

كعيون سائحة أطلّت ذات فجر !

لا الأم أمي ..

لا الوليد أخي ،و لا

ذات العيون الخضر لي

و أقول :خير !

-4-

يا نوح !

هبني غصن زيتون

ووالدتي.. حمامة !

إنّا صنعنا جنة

كانت نهايتها صناديق القمامة !

يا نوح !

لا ترحل بنا

إن الممات هنا سلامة

إنّا جذور لا تعيش بغير أرض ..

و لتكن أرضي قيامه!

قمر الشتاء

سألّم جثتك الشهيدة

و أذيبها بالملح و الكبريت ..

ثم أعبّها ..

كالشاي

كالخمر الرديئة ..

كالقصيدة

في سوق شعر خائب

و أقول للشعراء :

يا شعراء أمتنا المجيدة !

أنا قاتل القمر الذي

كنتم عبيدة !!

سيقال: كالمتسول المنفي.. كان

ردّوه عن كل النوافذ

و هو يبحث عن حنان .

لا عاشقان

يتذكّران ...

_قلبي على قمر

تحجّر في مكان

و يقال.. كان !

و أنا على الإسفلت

تحت الريح و الأمطار

مطعون الجنان

لا تفتح الأبواب في وجهي

و لا تمتد نحو يدي يدان

عيني على قمر الشتاء ..

وقد ترمّد في دمي ..

قلبي على قرص الدخان !

لا تظلموني أيّها الجبناء

لم أقتل سوى نذل جبان

بالأمس عاهدني

و حين أتيته في الصبح.. خان..

خواطر في شارع

يا شارع الأضواء! ما لون السماء

و علام يرقص هؤلاء؟

من أين أعبر، و صدور على الصدور

و الساق فوق الساق. ما جدوى بكائي

أي عاصفة يفتتها البكاء؟

فتيممي يا مقلتي حتى يصير الماء ماء

و تحجّري يا خطوتي !

هذا المساء ..

قدر أسلمه سعير الكبرياء

من أي عام

أمشي بلا لون، فلا أصحو و لا أغفو

و أبحث عن كلام؟

أتسلق الأشجار أحيانا

و أحيانا أجدّف في الرغام

و الشمس تشرق ثم تغرب.. و الظلام

يعلو و يهبط. و الحمام

ما زال يرمز للسلام !

يا شارع الأضواء، ما لون الظلام

و علام يرقص هؤلاء؟

و متى تكفّ صديقتي بالأمس، قاتلتي

تكفّ عن الخيانة و الغناء؟

الجاز يدعوها؟

و لكني أناديها.. أناديها.. أناديها .

و صوت الجاز مصنوع

و صوتي ذوب قلب تحت طاحون المساء

لو مرة في العمر أبكي

يا هدوء الأنبياء

لكن زهر النار يأبى أن يعرّض للشتاء

يا وجه جدي

يا نبيا ما ابتسم

من أي قبر جئتني .

و لبست قمبازا بلون دم عتيق

فوق صخرة

و عباءة في لون حفرة

يا وجه جدي

يا نبيا ما ابتسم

من أي قبر جئتني

لتحيلني تمثال سم .

الدين أكبر

لم أبع شبرا، و لم أخضع لضيم

لكنهم رقصوا و غنوا فوق قبرك ..

فلتنم

صاح أنا.. صاح أنا.. صاح أنا

حتى العدم



تحد

شدّوا وثاقي

و امنعوا عني الدفاتر

و السجائر

و ضعوا التراب على فمي

فالشعر دم القلب ..

ملح الخبز ..

ماء العين

يكتب بالأظافر

و المحاجر

و الخناجر

سأقولها

في غرفة التوقيف

في الحمام

في الإسطبل ..

تحت السوط ..

تحت القيد

في عنف السلاسل

مليون عصفور

على أغصان قلبي

يخلق اللحن المقاتل

ناي

لا تقتلوني أيّها الرعاة

لا تعزفوا

خافوا عليّ الله

أستحلف الفحيح أن ينام

في ألحانكم ..

حتى أمرّ في سلام

زنجار! يا قاتلي زنجار

لا تنتظري

إني سمعت الناي

لا تنتظري

إني هجرت الدار!

المناديل

كمقابر الشهداء صمتك

و الطريق إلى امتداد

ويداك... أذكر طائرين

يحوّمان على فؤادي

فدعي مخاص البرق

للأفق المعبّأ بالسواد

و توقّعي قبلا مدماة

و يوما دون زاد

و تعودي ما دمت لي

موتي ...و أحزان البعاد !

كفنّ مناديل الوداع

و خفق ريح في الرماد

ما لوّحت، إلاّ ودم سال

في أغوار واد

وبكى، لصوت ما، حنين

في شراع السندباد

ردّي، سألتك، شهقة المنديل

مزمارا ينادي ..

فرحي بأن ألقاك وعدا

كان يكبر في بعادي

ما لي سوى عينيك، لا تبكي

على موت معاد

لا تستعيري من مناديلي

أناشيد الوداد

أرجوك! لفيها ضمادا

حول جرح في بلادي

خائف من القمر

خبّئيني. أتى القمر

ليت مرآتنا حجر !

ألف سرّ سري

وصدرك عار

و عيون على الشجر

لا تغطّي كواكبا

ترشح الملح و الخدر

خبّئيني.. من القمر !

وجه أمسي مسافر

ويدانا على سفر

منزلي كان خندقا

لا أراجيح للقمر ..

خبّئيني.. بوحدتي

و خذي المجد.. و السهر

و دعي لي مخدتي

أنت عندي

أم القمر؟!

أبيات غزل

سألتك: هزّي بأجمل كف على الارض

غصن الزمان !

لتسقط أوراق ماض وحاضر

ويولد في لمحة توأمان :

ملاك..وشاعر !

ونعرف كيف يعود الرماد لهيبا

إذا اعترف العاشقان !

أتفاحتي! يا أحبّ حرام يباح

إذا فهمت مقلتاك شرودي وصمتي

أنا، عجبا، كيف تشكو الرياح

بقائي لديك؟ و أنت

خلود النبيذ بصوتي

و طعم الأساطير و الأرض.. أنت !

لماذا يسافر نجم على برتقاله

و يشرب يشرب يشرب حتى الثماله

إذا كنت بين يديّ

تفتّت لحن، وصوت ابتهاله

لماذا أحبك؟

كيف تخر بروقي لديك ؟

و تتعب ريحي على شفتيك

فأعرف في لحظة

بأن الليلي مخدة

و أن القمر

جميل كطلعة وردة

و أني وسيم.. لأني لديك !

أتبقين فوق ذراعي حمامة

تغمّس منقارها في فمي؟

و كفّك فوق جبيني شامه

تخلّد وعد الهوى في دمي ؟

أتبقين فوق ذراعي حمامه

تجنّحي.. كي أطير

تهدهدني..كي أنام

و تجعل لا سمي نبض العبير

و تجعل بيتي برج حمام؟

أريدك عندي

خيالا يسير على قدمين

و صخر حقيقة

يطير بغمرة عين!

لوحة على الأفق

رأيت جبينك الصيفيّ

مرفوعا على الشفق

)و شعرك ماعز) يرعى

حشيش الغيم في الأفق

تودّ العين.. لو طارت إليك

كما يطير النوم من سجني

يود القلب لو يحبو إليك

على حصى الحزن

يود الثغر لو يمتص

عن شفتيك ..

ملح البحر، و الزمن

يود.. يود. لكني

وراء حديد شباكي

أودع وجهك الباكي

غريقا فوق دمّ الشمس ..

مهدورا على الأفق

فأحمل فوق جرح القلب جرحين

و لكني.. أحاول أن أضمدها.. أوسدها

ذراع تمرّد الحزن!

دعوة للتذكار

مرّي بذاكرتي !

فأسواق المدينة

مرّت

و باب المطعم الشتوي

مرّ .

و قهوة الأمس السخينه

مرّت .

و ذاكرتي تنقرها ..

العصافير المهاجرة الحزينة

لم تنس شيئا غير وجهك

كيف ضاع؟

و أنت مفتاحي إلى قلب المدينة ؟

قصائد عن حب قديم

-1-

على الأقاض وردتنا

ووجهانا على الرمل

إذا مرّت رياح الصيف

أشرعنا المناديلا

على مهل.. على مهل

و غبنا طيّ أغنيتين، كالأسرى

نراوغ قطرة الطل

تعالي مرة في البال

يا أختاه !

إن أواخر الليل

تعرّيني من الألوان و الظلّ

و تحميني من الذل !

و في عينيك، يا قمري القديم

يشدني أصلي

إلى إغفاءه زرقاء

تحت الشمس.. و النخل

بعيدا عن دجى المنفى ..

قريبا من حمى أهلي

-2-

تشهّيت الطفوله فيك .

مذ طارت عصافير الربيع

تجرّد الشجر

وصوتك كان، يا ماكان،

يأتي

من الآبار أحيانا

و أحيانا ينقطه لي المطر

نقيا هكذا كالنار

كالأشجار ..كالأشعار ينهمر

تعالي

كان في عينيك شيء أشتهيه

و كنت أنتظر

و شدّيني إلى زنديك

شديني أسيرا

منك يغتفر

تشهّيت الطفولة فيك

مذ طارت

عصافير الربيع

تجرّد الشجرّ !

-3-

..و نعبر في الطريق

مكبلين..

كأننا أسرى

يدي، لم أدر، أم يدك

احتست وجعا

من الأخرى؟

و لم تطلق، كعادتها،

بصدري أو بصدرك ..

سروة الذكرى

كأنّا عابرا درب،

ككلّ الناس ،

إن نظرا

فلا شوقا

و لا ندما

و لا شزرا

و نغطس في الزحام

لنشتري أشياءنا الصغرى

و لم نترك لليلتنا

رمادا.. يذكر الجمرا

وشيء في شراييني

يناديني

لأشرب من يدك ترمد الذكرى

-4-

ترجّل، مرة، كوكب

و سار على أناملنا

و لم يتعب

و حين رشفت عن شفتيك

ماء التوت

أقبل، عندها، يشرب

و حين كتبت عن عينيك

نقّط كل ما أكتب

و شاركنا و سادتنا ..

و قهوتنا

و حين ذهبت ..

لم يذهب

لعلي صرت منسيا

لديك

كغيمة في الريح

نازلة إلى المغرب ..

و لكني إذا حاولت

أن أنساك ..

حطّ على يدي كوكب

-5-

لك المجد

تجنّح في خيالي

من صداك ..

السجن، و القيد

أراك ،استتند

إلى وساد

مهرة.. تعدو

أحسك في ليالي البرد

شمسا

في دمي تشدو

أسميك الطفوله

يشرئب أمامي النهد

أسميك الربيع

فتشمخ الأعشاب و الورد

أسميك السماء

فتشمت الأمطار و الرعد

لك المجد

فليس لفرحتي بتحيري

حدّ

و ليس لموعدي وعد

لك.. المجد

و أدركنا المساء ..

و كانت الشمس

تسرّح شعرها في البحر

و آخر قبلة ترسو

على عينيّ مثل الجمر

_خذي مني الرياح

و قبليني

لآخر مرة في العمر

..و أدركها الصباح

و كانت الشمس

تمشط شعرها في الشرق

لها الحناء و العرس

و تذكرة لقصر الرق

_خذي مني الأغاني

و اذكريني ..

كلمح البرق

و أدركني المساء

و كانت الأجراس

تدق لموكب المسبية الحسناء

و قلبي بارد كالماس

و أحلامي صناديق على الميناء

_خذي مني الربيع

وودّعيني..



أبي

غضّ طرفا عن القمر

وانحنى يحضن التراب

وصلّي ..

لسماء بلا مطر،

و نهاني عن السفر !

أشعل البرق أوديه

كان فيها أبي

يربيي الحجارا

من قديم.. و يخلق الأشجار

جلده ينذف الندى

يده تورق الشجر

فبكى الأفق أغنية :

_كان أوديس فارسا ..

كان في البيت أرغفه

و نبيذ، و أغطية

و خيول، و أحذيه

و أبي قال مرة

حين صلّى على حجر :

غض طرقا عن القمر

واحذر البحر.. و السفر !

يوم كان الإله يجلد عبده

قلت: يا ناس! نكفر؟

فروى لي أبي.. و طأطأ زنده :

في حوار مع العذاب

كان أيوب يشكر

خالق الدود ..و السحاب !

خلق الجرح لي أنا

لا لميت.. و لا صنم

فدح الجرح و الألم

و أعني على الندم !

مرّ في الأفق كوكب

نازلا.. نازلا

و كان قميصي

بين نار، و بين ريح

و عيوني تفكر

برسوم على التراب

و أبي قال مرة :

الذي ما له وطن

ما له في الثرى ضريح

..و نهاني عن السفر

نشيد

-1-

لأجمل ضفة أمشي

فلا تحزن على قدمي

من الأشواك

إن خطاي مثل الشمس

لا تقوى بدون دمي !

لأجمل ضفة أمشي

فلا تحزن على قلبي

من القرصان ..

إن فؤادي المعجون كالأرض

نسيم في يد الحبّ

و بارود على البغض !

لأجمل ضفة أمشي

فإمّا يهتريء نعلي

أضع رمشي

نعم.. رمشي !

و لا أقف

و لا أهفو إلى نوم و أرتجف

لأن سرير من ناموا

بمنتصف الطريق ..

كخشبة النعش !

تعالوا يا رفاق القيد و الأحزان

كي نمشي

لأجمل ضفة نمشي

فلن نقهر

و لن نخسر

سوى النعش !

-2-

إلى الأعلى

حناجرنا

إلى الأعلى

محاجرنا

إلى الأعلى

أمانينا

إلى الأعلى

أغانينا

سنصنع من مشانقنا

و من صلبان حاصرنا و ماضينا

سلالم للغد الموعود

ثم نصيح يا رضوان !

إفتح بابك الموصود !

سنطلق من حناجرنا

و من شكوى مراثينا

قصائد. كالنبيذ الحلو

تكرع في ملاهينا

و تنشد في الشوارع

في المصانع

في المحاجر

في المزارع

في نوادينا !

سننصب من محاجرنا

مراصد، تكشف الأبعد و الأعمق و الأروع

فلا نقشع

سوى الفجر

و لا نسمع

سوى النصر

فكل تمرّدّ في الأرض

يزلزلنا

و كل جميلة في الأرض

تقبّلنا

و كل حديقة في الأرض

نأكل حبه منها

و كل قصيدة في الأرض

إذا رقصت نخاصرها

و كل يتيمة في الأرض

إذا نادت نناصرها

سنخرج من معسكرنا

و منفانا

سنخرج من مخابينا

و يشتمنا أعادينا :

"هلا.. همج هم.. عرب "

نعم !عرب

و لا نخجل

و نعرف كيف نمسك قبضة المنجل

و كيف يقاوم الأعزل

و نعرف كيف نبني المصنع العصري

و المنزل ..

و مستشفى

و مدرسة

و قنبلة

و صاروخا

و موسيقى

و نكتب أجمل الأشعار ..

و ماذا بعد؟

سمعنا صوتك المدهون بالفسفور

سمعناه.. سمعناه

فكيف ستجعل الكلمات

أكواخ الدجى.. بلّور !

و دربك كله ديجور

و شعبك ..

دمعة تبكي زمان النور

و أرضك ..

نقش سجادة

على الطرقات مرمية

و أنت.. بدون زواده

و ماذا بعد؟ و ماذا بعد؟

جميل صوتك المحمول بالريح الشماليّة

و لكنا سئمناه !

صوت :

ذليل أنت كالإسفلت

ذليل أنت

يا من يحتمي بستارة الضجر

غبيّ أنت.. كالقمر

و مصلوب على حجر

فدعني أكمل الإنشاد

دعني أحمل الريح الشماليّة

و دعني أحبس الأعصار في كمي

و دعني أخزن الديناميت في دمي

ذليل أنت كالإسفلت

و كالقمر ..

غبيّ أنت !

نشيد بنات طروادة

وداعا يا ليالي الطهر

يا أسوار طروادة

خرجنا من مخابينا

إلى أعراس غازينا

لنرقص فوق موت رجال طروادة

سبايا نحن، نعطيهم بكارتنا

و ما شاؤوا

لأنهم أشداء

و نرقد في مضاجع قاتلي أبطال طروادة

وداعا يا ليالي الطهر و الأحلام

يا ذكرى أحبتنا

سبايا نحن منذ اليوم

من آثار طرواده

تعليق النشيد

بلى، أصغيت للنغم

فلا تخضع لجناز الردى

قيثارك المشدود ..

من قاع المحيط لجبهة القمم !

لئلا تجهض الأزهار و الكبريت

فوق فم

سيزهر مرة طلعا و قنديلا

و شعرا يصهر الفولاذ ..

يرصف شارع النغم

لئلا تحقن الأجساد

أفيونا من الألم

نعم، أصغيت للنغم

و لكني، تحريت السنا في الدمع

لا ديمونة الظلم

لنحرق ريشة الماضي

و نعرف لحننا الرائد !

فمن عزمي

و من عزمك

و من لحمي

و من لحمك

نعبد شارع المستقبل الصاعد

صوت :

و ماذا بعد؟ ماذا بعد !

و شعبك ..

دمعة ترثي زمان المجد

و لحن القيد

يجنزنا

و يحفر للذين يقامون اللحد !

مع المسيح

_لو ..

_أريد يسوع

_نعم! من أنت !

_أنا أحكي من" إسرائيل "

و في قدمي مسامير.. و إكليل

من الأشواك أحمله

فأي سبيل

أختار يا بن الله.. أي سبيل

أأكفر بالخلاص الحلو

أم أمشي؟

أم أمشيو أحتضر ؟

_أقول لكم أماما أيّها البشر !

مع محمّد !

_ألو ..

_أريد محمّد !العرب

_نعم! من أنت ؟

_سجين في بلادي

بلا أرض

بلا علم

بلا بيت

رموا أهلي إلى المنفى

و جاؤوا يشترون رالنار من صوتي

لأخرج من ظلام السجن ..

ما أفعل ؟

_تحدّ السجن و السجان

فإن حلاوة الإيمان

تذيب مرارة الحنظل !

مع حبقوق

_ألو ..هالوا

أموجود هنا حبقوق؟

_نعم من أنت؟

_أنا يا سيدي عربي

و كانت لي يد تزرع

ترابا سمدته يدا وعين أبي

و كانت لي خطى و عباءة ..

و عمامة ودفوف

وكانت لي ..

_كفي يا ابني١

على قلبي حكايتكم

على قلبي سكاكين

بقية النشيد

دعوني أكمل الإنشاد

فإن هدية الأجداد للأحفاد

"زرعنا.. فاحصدوا "!

و الصوت يأتينا سمادا

يغرق الصحراء بالمطر

و يخصب عاقر الشحر !

دعوني أكمل الإنشاد

صلاة أخيرة

يخيّل لي أن عمري قصير

و أني على الأرض سائح

و أن صديقة قلبي الكسير

تخون إذا غبت عنها

و تشرب خمرا

لغيري،

لأني على الأرض سائح !

يخيل لي أن خنجر غدر

سيحفر ظهري

فتكتب إحدى الجرائد :

"كان يجاهد "

و يحزن أهلي و جيراننا

و يفرح أعداؤنا

و بعد شهور قليلة

يقولون: كان !

يخيل لي أن شعري الحزين

و هذي المراثي، ستصبح ذكرى

و أن أغاني الفرح

وقوس قزح

سينشدها آخرون

و أن فمي سوف يبقى مدمّى

على الرمل و العوسج

فشكرا لمن يحملون

توابيت أمواتهم !

و عفوا من المبصرين

أمامي لافتة النجم

في ليلة المدلج !

يخيل لي يا صليب بلادي

ستحرق يوما

و تصبح ذكرى ووشما

وحين سينزل عنك رمادي

ستضحك عين القدر

و تغمز: ماتا معا

لو أني، لو أني

أقبّل حتى الحجر

و أهتف لم تبق إلاّ بلادي !

بلادي يا طفلة أمه

تموت القيود على قدميها

لتأتي قيود جديدة

متى نشرب الكأس نخبك

حتى و لو في قصيدة؟

ففرعون مات

و نيرون مات

و كل السنابل في أرض بابل

عادت إليها الحياة !

متى نشرب الكأس نخبك

حتى و لو في الأغاني

أيا مهرة يمتطيها طغاة الزمان

و تفلت منا

من الزمن الأول

_لجامك هذا.. دمي !

_و سرجك هذا.. دمي

إلى أين أنت إذن رائحة

أنا قد وصلت إلى حفرة

و أنت أماما.. أماما

إلى أين؟

يا مهرتي الجامحة؟ !

يخيل لي أن بحر الرماد

سينبت بعدي

نبيذا و قمحا

و أني لن أطعمه

لأني بظلمة لحدي

و حيدّ مع الجمجمة

لأني صنعت مع الآخرين

خميرة أيامنا القادمة

و أخشاب مركبنا في بحار الرماد

يخيل لي أن عمري قصير

و أني على الأرض سائح

و لو بقيت في دمي

نبضة واحدة

تعيد الحياة إليّ

لو أني

أفارق شوك مسالكنا الصاعدة

لقلت ادفنوني حالا

أنا توأم القمة المارده!!